

## مقدمة

الفخر من أدل فنون الأدب على فطرة الإنسان ، فهو صدى تطلع النفس إلى ذاتها ، والتعبير عن الأثرة أشد النزعات فيها . والإنسان ، كما لا يخفى ، سجين ذاته منذ الولادة ، يديم النظر في مرآتها ، مستجلباً محاسنها ، صابغاً قبائحها بما يجعلها في ميزانه دون قبائح الناس أجمعين ، مقارناً فيما بينها وبين غيرها ، وهذا الإيثار للنفس ، إذا تجسم في عبارات شعرية ، كان الفخر وكان الحماسة .

والفخر هو تعداد الصفات وتحسين السيئات ، وهو رفيق الآداب كلها منذ كان للشعوب آداب ، وهو عند العرب باب واسع من أبواب شعرهم ، يعبر عن ميلهم الطبيعي إلى الأنفة والعزة ، كما يعبر عن انتفاخه أعصابهم تحت تأثير العوامل الجوية والطبيعية ، وانطلاقها النباض وراء الآمال والذرى .

والذات في الفخر ذات وتمددات للذات ، من خلال خلكية وخصائمية ، ومن أصل ونسب ، وحزب ومذهب ، وأعمال وأقوال ، ومواقف كرامات وبطولات ، وما إلى ذلك مما لا نهاية له . والفخر من ثم أنواع : فخر ذاتي ، وفخر حزبي ، وشياعي ، وفخر ديني ، وفخر حربي .

أما الفخر الذاتي فهو ما دار حول العقل والقلب واللسان والساعد ، وما دار

حول القبيلة والآباء والأجداد . وأما الفخر الحزبي فهو لسان الحزب ينطق بحقوقه وطموحه ، وينشر تعاليمه وآراءه ، ويهدف إلى الامتداد والاستيلاء ، وقد ازدهر منذ فجر الإسلام وعلا نجمه في العهد الأموي ، وذلك لقيام الأحزاب المتناحرة من أمويين وعلويين وزبيريين وخوارج وغيرهم ممن سيأتى الكلام عنهم في محله . وأما الفخر الديني فقد ظهر خصوصاً مع الإسلام ورافقه في فتوحه وانتشاره ؛ وأما الفخر الحزبي فهو شعر الحماسة ، والحماسة نشأت مع العربي منذ كان ، ومنذ ارتقى في أحضان طبيعة قاسية جعلته غرضاً لأحداث الزمان ، ونكبات الحداث ؛ وقد فطر العربي لذلك على الشجاعة والقتال ، وأصبح القتال جزءاً من حياته الطبيعية ، وطالما نشبت الحروب عند العرب ، وسببت الثورات الدامية ، فمن حرب الأوس والخزرج ، إلى حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، إلى حرب البسوس بين بكر وتغلب ، إلى حروب اليمن وعدنان ، إلى حروب الفتوح التي امتدت ميادينها من حدود الصين إلى بحر الظلمات ، إلى قلب أوربة ، إلى الحروب المختلفة التي رافقت العرب في ميادين عملهم ، والتي فجرت القرائح ، فتدققت بسيل ملحمى مختلف زاخر بالبطولة والعزة .

ولما كان الفخر والحماسة من نتاج العاطفة الشديدة ، والانفعال العميق ، فقد حفلا بالمغالاة ، وانطلق فيهما الخيال مضخماً مهولاً ، وبرزت فيهما الحقائق التاريخية مجلبة يجلباب العاطفة والخيال ، واشتدت فيهما الأساليب الكلامية والألفاظ والحروف اشتداداً هداراً ، يرافق انفجارات النفوس واصطخابات القلوب ، كما يرافق في مجالات القتال صهيل الخيول ، وقعقات الأسلحة ، وجلبات المنون .

وإننا سنلزم في دراستنا هذه جانب الإيجاز ، مقتصرين على الخطوط الكبرى ، مبيينين المعالم والأطوار ، لا يهملنا من الأدباء إلا من مثل طوراً ، ومن الأحداث إلا ما كان عاملاً قوياً من عوامل التطور ، ومن الميزات الأدبية إلا ما كان بارزاً شديد البروز .

والله ولي التوفيق .

حنا الفاخوري